-1-

بيت عادي غرفة عادية وستار النافذة لونه رمادي داكن ليس فيه أي زخرفة , فارغ بدون تفاصيل, هذا ما كان يحدق فيه الطالب الجامعي كارتر ويليامز حيث وجد فيه جمالا غير مفهوم لغيره. في يوم عادي ذهب كارتر الى أكثر مكان يبغضه لكثرة ألوانه و ضخبه الذي لا يتحمله و هو الجامعة, فلم يجد يوما راحته فيها ولا شيء فيها جذب انتباهه.

كان يسير متجها لحصة العلوم الطبيعية خافضا رأسه لشدة كرهه للناس و خوفه من تلاقي أعينه مع الاخرين فهو يعرف خير معرفة وضعه و كره الناس له فيرتاب عند نظر أحدهم إليه أي يعلم أنهم يحكمون عليه بنظرات اشمئزاز و احتقار لمنظره و غموظه الغير مبرر و علامات الاستفهام الحائلة حوله دون إجابة, بوصوله للقاعة يجلس في الصفوف الأخيرة لوحده حيث دخل بعدها الأستاذ و شرع في تنظيم أوراقه على سطح المكتب. "الأعراض الإدراكية الهلاوسية", بقوله ذاك سكتت القاعة مصغية لحديثه , "السلام عليكم , هل القهوة جاهزة؟ إذا فلنبدأ الدرس, أريد منكم الإصغاء و تخيل سماع صوت لا يمكن لغيركم سماعه, أتسمعونه؟ إن سمعتم شيئا فمبارك لكم أنتم مرضى نفسيون, ضحكات التلاميذ على نكتة الأستاذ أرجعت كارتر الذي كان سارحا في الأصوات -الغير حقيقية بطبيعة الحال- الى أرض الواقع ليركز أخيرا في محاضرته بدل تخايلاته.

ليكمل الأستاذ شرحه فيطرح السؤال: ما هي الأعراض الإدراكية و الهلاوسية؟

هي اضطرابات في الإدراك تجعل الشخص يرى أو يسمع أو حتى يشعر بأشياء غير موجودة في أرض الواقع و تشمل أعراض كثيرة منها هلاوس بصرية أو سمعية, تشوش إدراكي حتى الإنغماس في الخيال, و هنا عاد كارتر منغمس في أحلامه خارج قاعة المحاضرة يتخيل حياة سلمية هادئة دون صخب أو أشخاص بغيضين محيطين به من كل جهة يضحكون على أتفه الأسباب و يتمنى لو أنه في منزله جالس في مكتبه يقرأ كتابا يجد فيه سكينته. ينتهي الشرح و تنتهي المحاضرة, يعود الى منزله حاملا ضغينة ضد الأستاذ لأنه لم يفهم شرحه المبهم و حقيقة كان الشرح ممتازا و كانت المحاضرة سلسة لنشاط زملائه لكن كارتر لا يعترف بذلك أو أن عدم فهمه سببه عدم مبالاته , بل يلقي اللوم على أي شيء ماعدا نفسه و لكن في نفس الوقت يكره نفسه للكذب على نفسه مما يزيد من شدة بغضه لحياته و في محاولة يائسة للتخلص من إحساسه بالذنب و الهرب من كوابيسه التي تطارده يوميا يعزل نفسه في غرفته و يقرأ كتابا او ينام بعد عودته من الجامعة مباشرة.

-2-

الشخصية الإزدواجية, أو ما يعرف باضطراب الهوية الإنفصامية و هي حالة نفسية يكون فيها لدى الشخص هويتان أو أكثر, لكل من الشخصيتين سلوك و شخصية و ذاكرة مختلفة كأن الشخص يعيش بشخصيتين منفصلتين تتناوبان في السيطرة على تصرفاته و وعيه, يكون ذلك غالبا نتيجة صدمات نفسية شديدة في الطفولة مثل العنف او الإهمال, فينشأ الدماغ آلية دفاعية تفصل الوعي إلى شخصيات مختلفة لحماية الذات الأصلية. بعد سماع ذلك بدأ كارتر في التركيز في كلام الأستاذ ملأ لفضوله و إذا بتلميذ يقاطع المحاضرة مبررا تأخره بأسباب تافهة بتردد و تلعثم في كلامه في محاولة يائسة لإقناع الأستاذ, سمح له الأستاذ بالدخول و تتلاقى أعينه معى أعين كارتر فيدير كارتر رأسه بسرعة لألا يلاحظه فيتفاجئ بجلوسه خلفه في الخفاء, ينحني التلميذ و يقول:"مرحبا اسمي توماس, يمكنك مناداتي توم", بعد معاناة استطاع أخيرا

كارتر نطق اسمه,"اسمي ك-ك-كارتر". يحاول كارتر إكمال محاضرته و لكن كل ما في باله هو حواره الأول مع شخص لا يعرفه و الذي يعتبره حدثا كبيرا في حياته البائسة الهادئة.

أتى كارتر مبكرا الى القاعة على غير عادته, حقيقة ذلك حماسه الشديد للقاء توم الذي كان أول شخص تكلم معه خلال سنين , فكان كعادته سارحا و لكن ليس في أي خيال بل كيف أنه سينشئ مكالمة صغيرة او رد طبيعي على صديقه فكان لم يتكلم الى أي أحد منذ أيّام طفولته, يدخل التلاميذ, تمتلأ القاعة و تحين اللحظة اللتي كان ينتظرها كارتر, دخل و أخيرًا توم القاعة و جلس في مكانه كالبارحة فأخذ يفتح حاسوبه و ينظم أوراقه ثم القى السلام على كارتر, رد عليه السلام بعد عدة تلعثمات تليه ضحكة توم الخفيفة الخافتة فقال:"يبدو انك شخص لايكثر الكلام" رد كارتر:"أ-أ-أجل", و دار بينهما حديث صغير تلاه سكوت طول المحاضرة مع شعور كارتر بانتصار عظيم رغم ان كل ما فعله كان محادثة صغيرة.

يتابع كارتر حياته المعتادة مع إحساسه بحماس شديد حتى هو نفسه لا يستطيع تبريره كلما رأى صديقه الوحيد, و لكن لم يعد يراه مؤخرا في بعض المحاضرات و ظن ان السبب مرض أو تغيب معتمد فهو لا يعلم أمر توم و لا يريد التدخل في حياته خوفا من ردة فعل توم أو نهاية صداقتهما, هذا كل ما يستطيع كارتر التفكير به لأنه لم يحظى بصداقة كهذه من قبل ولا يعرف عنها شيئا.

-3-

في يوم آخر, في الجامعة وفي قاعة العلوم النفسية, دخل الأستاذ بعد التلاميذ بوجه شاحب و مشية ثقيلة, و بطبيعة الحال لم يلاحظ كارتر ملامح الأستاذ و ظل سارحا ينظر الى سقف القاعة حتى سمع خبر الأستاذ ألا و هو وفاة التلميذ توماس هاورد في المستشفى بعد فشل عملية جراحية على مستوى القلب.
إختلطت مشاعر كارتر و بدأ يحس بحرارة شديدة في كل أنحاء جسمه و ضيق في التنفس حتى أغمي عليه, وجد نفسه في سرير مركز الرعاية الصحية للتلاميذ و تقابله ممرضة المستوصف فسألته عن حاله و إن كان لديه حالة مرضية, قبل أن يتمكن من الإجابة رأى كارتر صديقه توم يمر من رواق المستوصف و ينظر اليه مبتسما فنهض مسرعا ليلحق به و إذا به يجد الرواق خاليا.

عاد إلى المنزل منهكا بعد كل الأحداث التي مر بها كارتر ذاك اليوم و نام مباشرة عند وصوله للمنزل دون تغيير ملابسه أو حتى نزع حذائه لشدة إرهاقه. مرت الأيام و عاد كارتر إلى حياته الوحيدة المعتادة ليكمل باقي العام الدراسي و لكنه لم يمر يوم لم يفكر فيه في صديقه الراحل توماس و تغاضى عن الموضوع و لكنه في حالة عدم تصديق لذلك الخبر و يأمل يوما أن يلتقي به مجددا.

تأتي العطلة الصيفية بنهاية العام الدراسي, في يوم عادي يستيقظ كارتر من النوم فينزل إلى الطابق السفلي من المنزل ثم يغسل وجهه و يجد وجبة فوق الطاولة عليها قطعة ورق:"صباح الخير بني" دلالة على اكتراث احدهم به (أًمه), يرمي الورقة و يتناول فطوره و هو يطلع على الأخبار في التلفاز:"توقع مطر في الساعة العاشرة صباحا مع احتمال عاصفة, هطول المطر مستمر حتى المساء", أكمل فطوره و أطفأ التلفاز و هو في طريقه إلى غرفته بعد صعود بضع درجات سمع طرقا على الباب فذهب ليفتحه فيتفاجئ برؤية توماس الذي اختفى منذ أشهر. "مرحبا كارتر لقد مر وقت طويل", "ولكن كيف؟ كيف مازلت حيا؟".

قبل أن يقول كارتر كلمة أخرى بدأ المطر يتهاطل فدعاه إلى الدخول ليكملا حديثهما و هو غير مستوعب لما يراه محدّقًا في صديقه.

إتجه الصديقان إلى غرفة كارتر القاتمة ثم سأله:" أين كنت كل هذه المدة؟" ,أخفض توم رأسه و هو ينظر إلى النافذة و قال بصوت خافت:"لا أريد حقا التحدث عن الموضوع".

أحس كارتر بقليل من الذنب و لم يسأله أي شيء آخر عنه أو عن حياته فلم يرد التدخل و أكملا حديثهما بمواضيع عادية حتى المساء بسبب الأمطار الرعدية ذلك اليوم, عند مغادرة توم قال لكارتر عند عتبة منزله و هو يلبس حذائه أنه انتقل ليعيش في بيت قريب من هناك فاقترح ان يلتقيا من حين لآخر في حديقة الشارع الثاني, فوافق لكونها أمثل مكان فليست بقريبة أو بعيدة.

-4-

يقضي كارتر عطلته الصيفية مع توم حيث كانا يلتقيان كل يوم دون استثناء و كأنه لا يوجد غد فكل يوم يذهب كارتر مهرولا إلى الحديقة ليجد توم جالسا على كرسي يحدق في السماء صافي البال منتظرًا إيّاه ليقضيا يومهما هناك. يرمق الناس الصديقين بنظرات استغراب و شيء من الخوف لكن لم يأبه لهم الصديقان فكانا غارقين في أحاديثهما خاصة كارتر الذي اعتاد تلك النظرات الموجهة له فلم يبدي أي ردة فعل.

في أيّام العطلة الأخيرة يتفقان على أن يلتقيا في الحديقة ليكملا طريقهما إلى الجامعة معا, في أوّل يوم من العودة إلى الجامعة لاحظ كارتر شحوباً على وجه صديقه لكن بطبيعة الحال لم يسأل عن السبب.

بوصولهما للجامعة لاحظ كارتر أنّ ليس البعض بل كل الرواق يرمقهما بنظرات اندهاش و فزع بوجوه شاحبة كأنهم رأو شبحا, ظنّاً من كارتر أنّها النظرات المعتادة يكمل طريقه إلى القاعة مع صديقه توم, عند دخولهما القاعة كان الأستاذ بصدد بدأ المحاضرة, فسأل كارتر عن حاله أو هل يعاني من مرض أو ضائقة فطمأنه بأنه بخير ولكن نظرات الأستاذ لم تبشر بذلك فكان حائرًا في أمر طالبه لكنه تغاضى عن الأمر.

زادت نظرات الإشمئزاز على كارتر فحيثما حل تبعته أعين الإنتقاد و أحسّ أنّ العالم كله ينتقده فعاد لعزل نفسه في منزله و لم يعد يذهب إلى الجامعة.

مرت ايام و لم يسمع أحد أي خبرٍ عن كارتر أو أحواله فهو نكرة وجوده كعدمه بالنسبة للناس ولكن كان لتوم رأي آخر ففي يوم من الأيّام الماطرة قرر أن يزوره ليطمئن عليه.

-5-

في يوم عطلة "فيرونيكا" (أم كارتر), كان المطر يهطل بغزارة و كارتر عازل نفسه كالعادة في غرفته, غير مهتم بدفئ المنزل اللذي يجعله يبدو معزولا كأنه عالم آخر فلا يسمع صوت ولو من عتبة, كانت الأم في المطبخ تحضر العشاء و سمعت طرقا على الباب فذهبت لفتحه, لقد كان توم الطارق و هو يرتعد من البرد مختبأ من المطر في عتبة المنزل فسألته:"أين كنت كل هذه المدة؟", ردّ مرتجفا:"أكارتر هنا؟" أجابت فيرونيكا وهي تشير له بالدخول مستغربة من سؤاله:"أدخل !"

كان حينها كارتر مستلق على فراشه غارق في تفكيره ليتفاجأ بصراخ مدوّ يملأ أرجاء المنزل, فقفز مسرعا للنزول و اقتفاء أثر الصراخ ليرى توماس يرتعد خوفا و هو ينظر إلى كارتر مرتعباً و يردد

بصوت خافت مصدوم:"أنا لم أفعها, أنا لم أفعلها, لم أفعلها", فأمسكه كارتر و صرخ قائلا:"لم تفعل ماذا؟ ماذا هناك؟" و لاحظ سكينا بيده مغطاة بالدم و حذاء ملقى أسفل الكرسي, فترك توم و ذهب صوب المطبخ وهو في ذهول تام , ليرى أرضية المطبخ مغمورة بالدم و فيرونيكا مستلقية على الأرض تطلب النجدة و بأنفاسها المتبقية قالت:"لماذا؟ في ماذا أخطأت؟ أجبني يا بني", عاد كارتر مسرعا إلى توم و لكمه بشدة جعلته يترنح و يكسر المرآة في الرواق, قفز كارتر على توم و بدأ بلكمه و يصرخ عن سبب فعلته الشنيعة حتى انتبه إلى زجاج المرآة المكسورة و أحس بخطأ فيها, لم يكن هناك أحد غير كارتر يصرخ لوحده في رواق المنزل و السكين في يده مغطاة بالدم, تسارعت نبضات قلبه و انقطعت أنفاسه حتى أغمي عليه مع سماعه لصافرات الشرطة قبل إغمائه بلحظات.

ليجد نفسه في فراش المستشفى و الممرضات يسترقن النظر عند الباب و الشرطة محيطة به من كل ناحية, سأله شرطي عن فعلته فكذبه قائلا أن توم من فعل ذلك, توم هو من قتل امه, فسألته الشرطة عن أي توم يتحدث فرد صارخا:"توم, إنّه هو توماس هاورد من فعلها" لكن بعد تحريات الشرطة تبين ان المدعو توماس هاورد متوفي منذ سنتين.

النهاية